من سلطة اللغة في الإعلام إلى سلطة الخطاب الإعلامي: من المقاربة الفلسفية إلى المقاربة التداولية

الدكتور محمد السهول

الكلية المتعددة التخصصات الرشيدية جامعة المولى إسماعيل مكناس – المغرب

تمهيد:

تطلب مناقشة العلاقة بين اللغة والخطاب والمجتمع، النظر في مجموعة من العلاقات، كعلاقة اللغة بالسلطة والإعلام ، وطرح جملة من المستويات النظرية والمشكلات المعرفية، كتتبع مفهوم الخطاب وسلطة الخطاب الاعلامي، وكذلك النظر في بعض المسائل الابستمولوجية التي تطرحها هذه العلاقة ضمن ميدان معرفي يحاول جاهدا التأسيس لمناهجه ومفاهيمه ومسائله، ونعني بذلك التداوليات، التي تدرس المنجز اللغوي في إطار التواصل وليس بمعزل عنه، لأن اللغة لا تؤدي وظائفها إلا فيه، وهي ليست وظائف مجردة وإنما تأتي في سياقات مختلفة تؤثر على الخطاب المنجز باختلاف أنواعه وهذا ما سنحاول بيانه في الخطاب الإعلامي.

1- مفهوم الخطاب من المقاربة اللغوية إلى المقاربة الفلسفية:

تؤكد جميع الدراسات أن **مفهوم الخطاب** – وهو مصطلح حديث – غير متفق عليه لتعدد الموضوعات التي يطرحها، لذلك سنبدأ بتوضيح معنى هذا المصطلح اعتماداً على معاجمنا العربية، ثم ننتقل إلى توضيح معناه عند أوائل من درسه من أعلام الغرب، وننهي هذه الزاوية بتعريف بعض الدارسين العرب لهذا المصطلح.

فالخطاب لغة هو مراجعة الكلام، وهو الكلام والرسالة،وهو المواجهة بالكلام، أو ما يخاطب به الرجل صاحبه ونقيضه الجواب، وهو مقطع كلامي يحمل معلومات يريد المرسل (المتكلم أو الكاتب)أن ينقلها إلى المرسل إليه (أو السامع أو القارئ)،ويكتب الأول رسالة ويفهمها الآخر بناءً على نظام لغوي مشترك بينهما، وبذلك يكون المعنى الذي تُوصلُنا إليه المعاجم متمثلاً في"**الحوار**"، الذي يرتبط بدوره بوجود ثلاثة عناصر:.**المرسل، المستقبل، الرسالة**. وهذا ما ورد في لسان العرب حيث يشير ابن منظور في مادة (خطب):"الخطب: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة والشأن والحال(...) والخطابة والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان (...) ، والخطبة اسم للكلام المنثور المسجوع ونحوه (...) والخطبة مثل الرسالة التي لها أول وآخر(...) والمخاطبة مفاعلة من الخطاب والمشاورة" [1].

يتضح من خلال قول ابن منظور أنه يعتبر "الخطاب مرادفا للكلام، ويجعل له بداية ونهاية دون أن يغفل خاصية التفاعل فيه، ومن ثم فالخطاب في لسان العرب كلام عادي أو مزخرف، له أول وله آخر، وهو يتم بين متخاطبين أو أكثر يدخلان (يدخلون في تفاعل في ما بينهما(بينهم)[2]. أما تعريف الخطاب في الاصطلاح فنعتمد فيه على ما أورده التهانوي في "**كشاف اصطلاحات الفنون**" إذ يقول" الخطاب بأصل اللغة توجيه الكلام نحو الغير للإفهام "[3]، ثم تطورت الكلمة حتى أصبحت في نظره تدل على" الكلام الموجه نحو الغير للإفهام "[4] ، إنه يميز في الخطاب بين فعل توجيه الكلام وبين الكلام ذاته ، أي بين لحظة إنتاج الذات للكلام الموجه للآخر وبين حدث الكلام مع التركيز في المعنيين معا على ضرورة وجود طرف آخر يحتاج إلى الفهم، ومنه فدور الخطاب هو الإفهام ، وبدون وجود شريكين – أو أكثر – لهما الرغبة في التواصل فلا وجود للخطاب"[5]. يتضح من خلال ما سبق أن لفظة خطاب لها في القواميس الاصطلاحية العربية دلالات أهمها :

- ✓ **الخطاب هو الكلام أو فعل توجيه الكلام.**
- ✓ **الخطاب محدد زمنيا بنقطة بداية ونقطة انتهاء.**
- ✓ **الخطاب يتطلب وجود شخصين أو أكثر يتفاعلان فيما بينهما بهدف تحقيق الإفهام أو الإقناع أو هما معا.**

أما بالنسبة للقواميس الغربية فقد أورد نبيل موميد جملة من الدلالات للمدخل المعجمي Discours من خلال" قاموس روبير الصغير" وهي:

- ✓ **الموضوع الذي نتكلم فيه.**
- ✓ **خطبة شفوية أمام جمع من الناس.**
- ✓ **كتابة أدبية تعالج موضوعا بطريقة منهجية.**
- ✓ **التعبير اللفظي عن الفكر(الكلام).**
- ✓ **الكلام وقد يعني ملفوظا لغويا قابل للملاحظة (جملة) متوالية من الجمل المنطوقة ، نص مكتوب ، وذلك على النقيض من النسق المجرد للسان.**
- ✓ **عالم الخطاب : أي مجموع أسيقته.**

أما في التراث العربي القديم فقد ظهرت إرهاصات لمفهوم الخطاب ومنها ما ورد عند الأصوليين إذ يعتبرونه الكلام الموجه بقصد الإفهام حالا، إن كان المخاطب موجودا، ومآلا إن كان المخاطب معدوما ولا مانع من طلب الفعل أو طلب الترك من المعدوم على تقدير أنه سيوجه، وهذا الخطاب شامل لخطاب الله

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

تعالى، وخطاب الملائكة وخطاب الإنس والجن، وهذا ما يبين أن الخطاب يضاف إلى مصدره أو إلى موضوعه أو مستواه من الخصوص والعموم فينقسم إلى : خطاب الله ، وخطاب الشرع وينقسم إلى خطاب التكليف ، وخطاب الوضع (خطاب الاخبار)"[6] كما اعتنى الأصوليون بوجوه الدلالة ودرجة تجليها في الخطاب وقاموا على ذلك سلمية الالتباس والتي صاغها المتوكل (1982-2006) على النحو الآتي:

- **ظاهر > محتمل> مجمل>خفي**

يتضح من خلال هذه السلمية "أن الخطاب من حيث التباسه وتدرجه في الالتباس إما "خفي" (أو متشابه") ولا يزاوله التباسه ولا يمكن أن يؤول بحال أو"مجمل" متعدد القرائن دون مرجع لإحداها، أو م"محتمل" إحدى قراءاته أقرب من الأخرى أو "ظاهر" شفاف لا التباس فيه. ويكمن الالتباس حسب أصوليينا، في فحوى الخطاب وفي تعدد معانيه، أو في الإحالة فيكون إما "**عاما**" يحيل على أكثر من ذوات واحدة (في مقابل **خاص**) أو "**مطابقا**" محيلا على أي ذات دون تحديد (في مقابل "**مقيد**"[7] . وبناء على هذا التحديد صاغ المتوكل خطاطة حاول من خلالها التمييز بين نوعين من الخطاب الملتبس في فحواه وفي إحالته كما يلي:

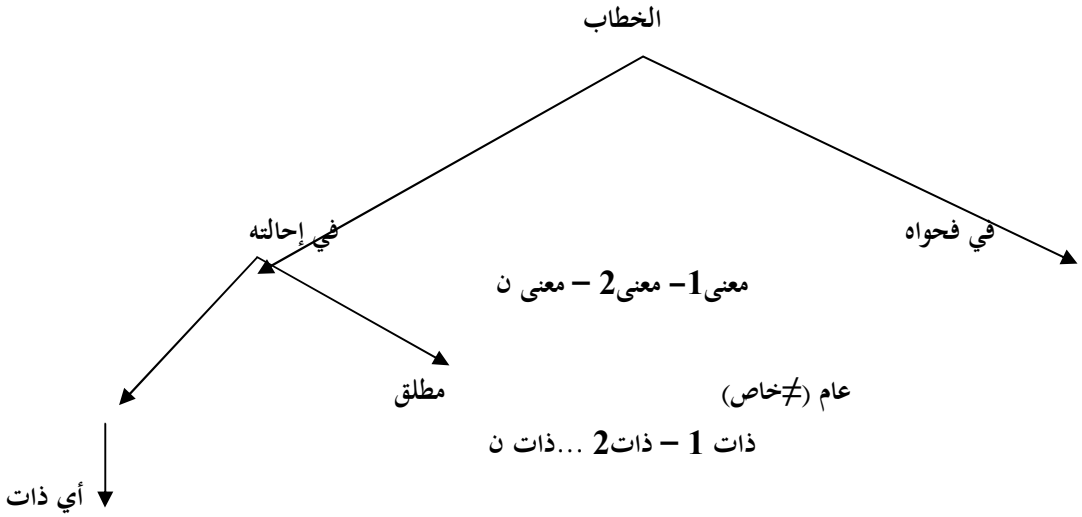

إن هذا الاطلاع على الفكر الأصولي هو ما أفاد أحمد المتوكل في إضافة تنميط آخر لأنواع الخطابات فيما يلي:

لقد اعتمد المتوكل مجموعة من الآليات في تصنيف الخطاب وهي : **الشفافية ، المجال، الآلية والقصد،** وبناء عليه تم تقسيم الخطاب إلى ما يلي:

الخطاب الشفافالخطاب الكاتم وضمنه : الخطاب الملتبس، الخطاب المطوي ، الخطاب المنعرج والخطاب المتداخل.

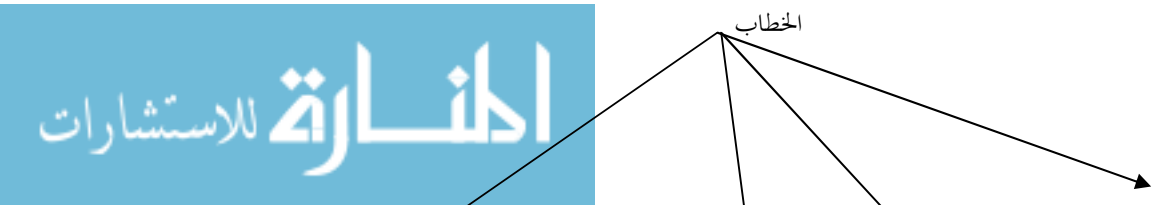

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

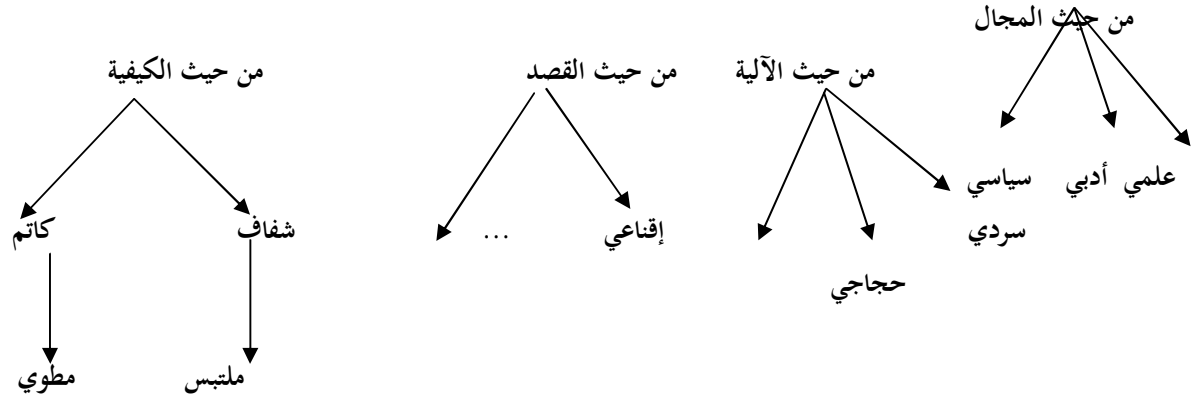

يميز أحمد المتوكل بين شفافية اللغة وشفافية الخطاب بقوله" إن شفافية اللغة وكاتميتها متعلقتان بنسق اللغة ذاتها ولا دور للمتكلم المخاطب فيه، في حين إن شفافية الخطاب أو كاتميته أمر إرادي اختياري يصدر عن منتج الخطاب "[8] ليختم كلامه بمجموعة من الإشكالات أهمها :

هل هناك ثمة علاقة بين شفافية اللغة وشفافية الخطاب ؟ وهل الخطاب في لغة شفافة أشف منه في لغة كاتمة ؟ هل كاتمية الخطاب من كاتمية اللغة ؟ هل الالتباس ، مثلا أورد وأيسر في لغة ذات صرف صاهر منه في غيرها؟. وللإشارة فقد ذكر **الزركشي** في كتابه" **البرهان في علوم القرآن** " أن الخطاب أتى بوجوه عديدة ، عرضها بتفصيل في هذا الكتاب وهي أربعون وجها. منها: **خطاب العام** المراد به العموم ، **وخطاب الخاص** المراد به العكس ... أما في القرآن الكريم فقد وردت هذه المادة في القرآن بصيغ متعددة اسما وفعلا ، فمن ذلك قوله تعالى:(**وشددنا ملكه ، وءاتيناه الحكمة وفصل الخطاب**)، وقوله تعالى:(**رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لايملكون منه خطابا**)[9] ، وقوله تعالى:(**وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما**) [10]، وقوله تعالى:(**ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون**) [11].

أما من أوائل الغربيين اللسانيين الذين حاولوا دراسة هذا المصطلح وتعريفه، فيكاد"يجمع كل المتحدثين عن الخطاب، وتحليل الخطاب على ريادة **ز .هاريس** (1952) في هذا المضمار من خلال بحثه المعنون بـ"تحليل الخطاب"،فهو أول لساني حاول توسيع حدود موضوع البحث اللساني بجعله يتعدى الجملة إلى الخطاب.

وببقائه ضمن حدود المجال اللساني، لقد عرّف **هاريس** الخطاب بأنه"ملفوظ طويل أو هو متتالية من الجمل تكون منغلقة، يمكن من خلالها معاينة سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجيّة التوزيعيّة، وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض"[12] "ويذهب **غرايس** إلى أن للكلام دلالات غير ملفوظة يدركها المتحدث والسامع دون علامة معلنة أو واضحة مثل قولنا: ألا تزورني؟ فالظاهر: السؤال، لكن الغرض دعوة للزيارة، وفي محاضراته "**نظام الخطاب**" يقرر ميشل فوكز أن الخطاب شبكة معقدة من النظم الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج فيها الكلام كخطاب"[13].

أمّا الفرنسي" **إميل بنفنست**" فقد عرّف الخطاب من منظور مختلف له أبلغ الأثر في الدراسات الأدبيّة التي تقوم على دعائم لسانية فهو عنده"**الملفوظ** "منظوراً إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل، وبمعنى آخر هو كلّ تلفظ يفرض متكلماً ومستمعاً، وعند الأوّل هدف التأثير على الثاني بطريقة ما.

أما أحمد المتوكل فإنه يرى أن الخطاب هو" إنتاج لغوي يربط فيه ربط تبعية بين بنيته الداخلية وظروفه المقامية (بالمعنى الواسع) [14]، بينما يعرفه **سيمون ديك** بقوله:" لا يتواصل مستعملوا اللغة الطبيعية عن طريق جمل منعزلة بل إنهم يكونون من هذه الجمل قطعا أكبر وأعقد يمكن أن نطلق عليه اللفظ العام "الخطاب"[15].

وقد طرح "ميشيل فوكو" نظرة متميّزة للخطاب حين ربطه بالسلطة،فهو عنده شيء من بين الأشياء، وهو ككلّ الأشياء موضوع صراع من أجل الحصول على السلطة، فهو ليس فقط انعكاساً للصراعات السياسية، بل هو **المسرح** الذي يتم فيه استثمار الرغبة، فهو ذاته مدار الرغبة والسلطة.

إنّ خطورة الوسائل القمعيّة التي تمارسها السلطة بواسطة الخطاب، ليست راجعة في نظر فوكو، وكما نتصوّر لأوّل وهله"، إلى وسائل التحكم الخارجية التي عرفتها الكلمة المكتوبة عبر تاريخها العصيب منذ عهود الظلام، وحتى بدايات عصر الديمقراطية الحديثة،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإنما إلى عملية التنظيمات الداخلية للخطاب نفسه، التي تقتضي في ظل ضروب من الإقصاء والاستبعاد إقامة مساحات من الصمت، والإضمار، ومساحات من الإفصاح والإعلان، تحكم ما يجب أن يقال، وما يخضع للتحديد والكشف والابتكار، وما يتبع نظم التعقيب والتبرير، والتكرار، وذلك وفقاً لمعايير ضمنية من الخطأ والصواب والحقيقة والزيف، لعل أبرزها ما يتجلى من التحريات التي تنصّب على موضوعات السلطة والجنس.

وإذا كان هناك ارتباط وثيق بين السلطة والخطاب، كما يذهب فوكو، فإنّ ذلك ليس مجرّد تخطيط، وتنظيم من قبل السلطة فحسب، وإنما علاقة أنطولوجيّة إن صحّ هذا التعبير تجمع بين اللغة وأنماط الهيمنة الاجتماعية.

وفي عام 1985 عرّف" موشلر" الخطاب على أنه"الحوار" ثم قام بإجراء تحليلاته للخطاب (الحوار)، وهذا التعريف أثر في تعريفات العديد من اللسانيين الآخرين مثل مايكل هوو في كتابه" **حول ظاهر الخطاب**" الذي أكد فيه بأنه سيتعامل مع الخطاب باعتباره "المونولوج" شفوياً كان أم كتابيّا.

أما بول ريكور فإنه يرى أن للخطاب خصائص أربعة حتى يمكن تهيئته للطواعية التأويلية ومنها كما ذكر محمد بن عياد [16].

أ– إن الخطاب نظام كلامي تثبتي، وذلك في الكلام المكتوب ألزم منه في الكلام الشفوي، لأن سمة الأول الثبات بينما تعوز الثاني هذه السمة، ولذلك هو يبحث دائما عن طريقة تقيه من التلاشي، وآية ذلك أن الكتابة لاتثبت حدث القول في حد ذاته ، إنما هي ترسخ مقول الكلام le dit de la paroleالحامل لمقاصد المتكلم[17].

ب– الخطاب نظام كلام تنعقد في جوفه أشكال من الارتباط الذاتي بين القائل ومقوله عن طريق مجموعة من الروابط onnecteurs les والمشيرات les deictiques " وإذا كانت المقاصد في الخطاب الشفوي – تتوطأ هذه الروابط والمشيرات ليتطابق المقصد الذاتي مع دلالة الخطاب بوقوع الحافر على الحافر ، فإن الأمر ليس كذلك في الخطاب المكتوب، عند هذا الحد يكف المقصد الذاتي عن مطابقة دلالة الخطاب ، وهذا الانفصام هو بغية الخطاب حينما يصير أفق النص أرحب من مقصد صاحبه ويصير ما يقوله النص أوسع مما رام كاتبه . فإذا بالتأويل ينقلب إلى منقذ للخطاب القاصر أصلا عن أداء الدلالة"[18].

ج–الخطاب نظام كلام محيل على المخاطب ، وهذه وجهة التواصلي الأساس.

د– الخطاب نظام كلام محيل على العالم.

إن "غاية هذه المقاربة اللسانية للخطاب إنما هو الربط بين الخطاب وفعل التأويل، فإذا ما طلبنا الخيط الفاتل بين خصائص الخطاب الأربعة ، تبين أن غاية الخطاب بما هو آلية إنتاج المعنى – ترسيخ مقول الكلام من جهة توسع مداليله، وهذا يقتضي وثوق الارتباط بين القائل ومقوله، لأن توفر الروابط والمشيرات والقرائن الذاتية عموما مدعاة إلى تجاوز مقصد القائل الأصلي"[19]

وهكذا يمكننا القول إنّ الدلالات والمفاهيم الخاصة بـ (الخطاب) قد تعددت عند الدارسين الغربيين، بتعدد مجالاتهم واختصاصاتهم ،هذا مع ضرورة الإشارة إلى تداخل العديد من هذه التعريفات.

وكما انتقل إلينا عدد من المصطلحات الغربيّة، كالبنيوية، والتفكيكية، أو التشريحية... إلخ، انتقل إلى ساحتنا العربيّة، مصطلح الخطاب مؤكداً أثناء عملية انتقاله فروقات واضحة في الفهم والتعريف من دارس إلى آخر.

فقد فهم عبد السلام المسدي"الخطاب" على انّه الكلام أو المقال، وعدّه "كياناً أفرزته علاقات معينة بموجبها التأمت أجزاؤه، وقد تولّد عن ذلك تيار يعرّف الملفوظ الأدبي بكونه جهازاً خاصاً من القيم طالما أنه محيط ألسني مستقل بذاته، وهو ما أفضى إلى القول بأن الأثر الأدبي بنيه ألسنية تتحاور مع السياق المضموني تحاوراً خاصاً.

وأما" الخطاب" عند جابر عصفور فهو" الطريقة التي تشكل بها الجمل نظاماً متتابعاً تسهم به في نسق كلي متغيّر ومتحد الخواص، أو على نحو يمكن معه أنْ تتآلف الجمل في خطاب بعينه لتشكّل خطاباً أوسع ينطوي على أكثر من نصٍّ مفرد، وقد يوصف الخطاب بأنّه مجموعة دالة من أشكال الأداء اللفظي تنتجها مجموعة من العلاقات أو يوصف بأنّه مساق العلاقات المتعينة التي تستخدم لتحقيق أغراض معينة.

2– مفهوم السلطة :

لقد تعددت تعاريف السلطة فهي " بمعناها العام الحق في الأمر، فهي تستلزم آمرا ومأمورا وأمرا ، آمر له الحق في إصدار أمر إلى المأمور، ومأمور عليه واجب الطاعة للآمر بتنفيذ الأمر الموجه إليه"[20]، إن هذا التعريف في نظر ابن ظافر الشهري قد ينطبق على بعض الأطر الاجتماعية لكنه يبقى تعريفا قاصرا ، في عملية إنتاج الخطاب للأسباب الآتية :

لأن المجتمع ليس بنى هرمية تنتمي إلى المجال الوظيفي وحده، فالتفاعل الخطابي يحدث بين الناس في كل المستويات وفي كل الظروف ، ولذلك فإن للسلطة تأثير في التاج الخطاب وتأويله "[21].كما أنه لا يمكن النظر إلى السلطة على أنها معطى سابق

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقط ، إذ يمكن أن يمتلكها الإنسان بمجرد التلفظ بالخطاب وهذا ما ذهب إليه الكثير من الفلاسفة ومنهم ميشل فوكو الذي جعل السلطة علاقة قوى "وهذا التعريف يكشف على أن السلطة عبارة عن علاقات تحدث في المجتمع ، ولأن العلاقات قد تكون علاقات غير متكافئة، فإن المرسل يأخذها بعين الاعتبار في الربط بينها ، وجودا أو عدما ، وبين استعمال اللغة في الخطاب عند إنتاجه ، مما يجعل الخطاب هو الإطار الذي تتجسد فيه "[22]، أما **ديبوره تانين** فتتحفظ في التساوي في السلطة سواء داخل المحكمة، أو داخل العائلة ، وتبدي تحفظها على تحديد مفهوم معياري للسلطة لأنه يتماهى مع مفاهيم أخرى مثل مفهوم السيطرة Control، والمناورة Manipulation، وخلطت في الأخير إلى أن مفهوم السلطة مفهوم مجازي، وذلك عندما توظف السلطة في التفاعل الخطابي ، وترى أن لها أنواع عدة ، وتأثيرات متداخلة ، وأنها ذات تجليات متنوعة.

3- السلطة واستراتيجيات الخطاب

يختار المرسل استراتيجيات الخطاب المناسبة للسياق وفقا لما تقتضيه سلطته ، وذلك إما بتفعيلها ، أو بالتنازل عنها " ومن تمام السلطة لانجاز الخطاب الاعتماد على المكان المادي لتفعيلها، فسلطة المعلم تكتسي قوتها في المدرسة ، بشكل عام ، وفي الفصل بشكل أخص ، فالفصل هو الذي يمنح للمعلم ، بصفته مرسلا ، فرصة إعطاء التوجيهات، وكذا القاضي، فسلطته في المحكمة أقوى منها في المحيط الخارجي ، لأن المحكمة هي التي تمنح خطابه صفة الفعل المنجز، من هنا تبرز أهمية مفهوم المؤسسة في التحليل (**البراغماتي**)، لأنه يترجم عن السلطة الضامنة لرصيد قيمة الملفوظات حتى لا تكون كلاما فارغا (مجرد كلام)، سلطة المتلفظ هي ظل المؤسسة التي يستمد منها قدرته على انجاز العمل القولي والتي تخضع مستعملي اللغة إلى التعامل مع التراكيب كأشكال تعاقدية تترجم عن تلك السلطة"[23]. كما قد يحدث تنافس بين السلطات بوصفها ممثلة لأصحابها " فيمكن لصاحب السلطة العليا أن يكسر خطاب المرسل ذي السلطة الأدنى ، بل ويلغي إنجاز فعله اللغوي . وهذا يحدث في بعض السياقات"[24]، ومن الأمثلة على ذلك ما يحدث للأستاذ مع طلابه أثناء انجاز الاختبارات التجريبية فيضبط مثلا أحد الطلاب يغش في مادة اللغة العربية مثلا فيتلفظ الأستاذ بهذا الخطاب:

- **لقد استعنت بالغش في الامتحان وهذا سلوك مرفوض ولذلك سوف نحرمك من اجتياز الاختبارات الأخرى في باقي المواد.**

- فإنه يجوز لمدير المؤسسة الذي يعلو الأستاذ سلطة أن يتلفظ بالخطاب التالي:

- بما أننا في فترة الاختبارات التجريبية ، ولم يكن هناك متسع من الوقت للتحضير للامتحانات فإننا سوف نعفو عنك ، على أن تعدنا أنك سوف لن تعود لمثل هذه السلوكات مرة أخرى .

تعتمد السلطة في الخطاب على اللغة بما تتضمنه من أفعال لغوية مثل استعمال أفعال الرجاء والتودد وغيرها مثل ما ورد في الخطاب التالي الصادر من أستاذ إلى عميد الكلية حول سلوك مشين لطالب داخل قاعة الدرس:

- وفي الأخير نرجو منكم التكرم باتخاذ ما ترونه مناسبا لمثل هذا السلوك.

أو ما تؤديه الجمل الاعتراضية في النحو العربي من وظائف دلالية وتداولية مثل الخطاب التالي:

-اعلم- أعزك الله – أن القيام بالواجب فضيلة.

وهذا يدل من خلال صيغة الدعاء على أن المرسل يريد أن يبين للمرسل إليه أنه حاضر في ذهنه لا يفارق مخيلته أثناء إنتاجه لهذا الخطاب" وبهذا نعتبر أن عدم مفارقته له سمة من سمات السلطة، وهذا مطلب تداولي قبل إنتاج الخطاب وفي أثنائه، ليحافظ المرسل على ما تستحقه عناصر السياق من خطاب بالموازاة مع تحقيق الهدف والتعبير والقصد"[25]. كما قد تكون لسلطة المرسل إليه أدوار قد يستغلها في مقاطعة المرسل عند التلفظ بخطابه ، وذلك بفرض محور الخطاب الذي يريد أن يتحدث فيه وذلك في المحاورات الشفهية بين الناس ، وقد يستحوذ المرسل إليه على السلطة عندما يخوله المرسل إياها طبقا لما تقتضيه قاعدة التخيير كما تسميها لايكوف. ، كما تتبلور سلطة المرسل إليه بالتفويض كما في المؤسسات العمومية فيمنح الرئيس تفويض التوقيع لأحد نوابه ، أو عندما يمنح أصحاب الحل والعقد سلطة حل النزاعات بين الناس كما في النظام القبلي ، فتظهر سلطة القبيلة أو المقدم أو الشيخ....

-3 – سلطة اللغة من سلطة المجتمع:

يمارس المجتمع سلطة على المرسل فيسمح له باستعمال بعض التعابير اللغوية دون أخرى وذلك حسب السياق مما يجعل بعض الخطابات الصريحة غير ممكنة مراعاة كما تقول (**لايكوف**) لمبدأ التأدب وهذا ما هو واضح في القرآن الكريم في أكثر من موضع كقوله تعالى :"**هنا لباس لكم وأنتم لباس لهن** " ، أوفي الكلام العادي كقولنا :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(**انتقل إلى رحمة الله**) ، بدلا (مات) ، أو قولنا : (**تخلصت من الحمل**) ، بدلا من (**أجهضت**). وأحيانا لا تعتمد السلطة على القوة المادية وهذا ما يتضح أثناء " أخذ أحد الطلبة دور الأستاذ في قاعة الدرس ، فإنه قد لا يتأتى له ذلك (**حالة اللاعب في الملعب** ، **أو الولد في البيت مع (إخوته)**)، لغياب السلطة لأن معظم الشروط التي ينبغي أن تتوفر كي يعمل الإنجاز الكلامي عمله تنحصر في مدى التلاؤم بين المتكلم ، أو وظيفته الاجتماعية . وبين ما يصدر عنه من خطاب"[26].

إن اعتماد السلطة في الخطاب كان أحد المعايير التي اعتمدها **أوستين** في تصنيف الأفعال اللغوية الإنجازية إلى صنف الممارسات التشريعية التي تتعلق بممارسة السلطة والقانون والنفوذ ،مثل، التعيين في المناصب السامية ،أو إصدار الأوامر التفسيرية في المذكرات. كما تطرق **سيرل** للعلاقة بين طرفي الخطاب في تصنيف الأفعال : فالسلطة هي التي تؤثر في القصد كأن أن يقول أحد المسؤولين لمستخدمه : **أنا آمرك بتنظيف إدارة المؤسسة** ، بينما إذا صدر هذا الفعل اللغوي من المستخدم نفسه فهو ملزم بأن يغير نمط خطابه بقوله مثلا : أنا ألتمس منك أن تنظف المؤسسة ، أو أطلب منك ، أو أقترح عليك....

4– من سلطة اللغة في الإعلام إلى سلطة الخطاب الإعلامي

تمثل السلطة عاملا أساسيا في تحديد العلاقة بين طرفي الخطاب، وهذا ما ينعكس على طبيعة الإستراتيجية المعتمدة التي تجسد تلك العلاقة "ولأهمية ذلك في الخطاب ، فإنه يتم التركيز في التداولية على نوع العلاقات بين طرفي الخطاب ونظامها، وبالتالي ، فإن هناك بعدين يتم الإحالة عليهما بصفة مستمرة وهما : علاقات السلطة ، والبعد الاجتماعي بين المرسل والمرسل إليه حيث يقترح (**براون وليفنسون**) في دراستهما لظاهرة التأدب على طرفي الخطاب أن يضعها لهذين البعدين ما يستحقانه من الاهتمام في علاقتهما ، وذلك عند تقدير الوجه المرتبط بالفعل اللغوي المنجز ، ويذهب ليتش إلى أن لهما علاقة كبيرة بالظاهرة نفسها "[27]. إن طبيعة الخطاب الاعلامي هي التي تجسد نوع الإستراتيجية التداولية التي يتم اختيارها ، إذ إن الإستراتيجية التضامنية تجسد الرغبة في تقريب الخطاب الإعلامي من المرسل إليه أو المتلقي ، لذلك نلاحظ أنها تعطى لها الأهمية والأولوية وهذا واضح في الحملات التضامنية عبر وسائل الإعلام والتي يكون الغرض منها تقديم الدعم أو التبرع لفئة معينة من أبناء المجتمع كحملة التبرع بالدم مثلا في الرشيدية تحت شعار "مبادرات بسيطة قد تحدث فرقا قم بمبادرتك والمنشورة بالموقع الالكتروني الرشيدية24 "

أو الحملة التي أنجزتها الجمعية المغربية للتنمية والمنشورة في العديد من المواقع الالكترونية كما تجسدها الصورة الآتية:

وهي الحملة والتي اعتمدت فيها الجهة المنظمة على هذه اللوحة كوسيلة لإغراء العين من أجل توجيه نظرها ، وهذا ما يجعل من التواصل الخبري بواستطتها أمر ممكنا ، علاوة على كونها دعامة أساسية على تلقي الخبر وإيصاله وهذا ما جعلها تعتمد على ما هو مكتوب بخط مضغوط أو من خلال تبئير أسماء أو حذف بعضها أو تغيير أماكنها أو بواسطة أشكال أخرى داخل البناء البصري ومن الأمثلة الأخرى على ذلك ما هو واضح من خلال الخطاب الاعلامي الآتي الوارد في بعض الجرائد العالمية:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **انفجار ضخم بالعاصمة الليبية أودى بحياة أربعين شخصا"**

حيث تم تبئير هذا الخبر الإعلامي وسط الصفحة بخط مضغوط، مما يجعل العين تتجه صوبه ، إننا إذن أمام خبر ذو طبيعة تواصلية يتعلق بالواقع المادي نستطيع إدراكه وجسدته الصحف، وقد يخرج هذا النمط من الخطاب الإعلامي عن المعطيات الكاليغرافية وتتحكم فيه سلطة الإشهار مشكلا نمطا خاصا من التواصل يعتمد على اختيار وانتقاء العلامات البصرية واللغوية ، القادرة على خلق سلسلة قيم وعواطف وانفعالات سيكولوجية تثير المتلقي وتدفعه إلى تبني ذلك النوع من الخطاب . وذلك عبر إستراتيجية خطابية معينة تكون اللغة هي آلياتها الأساسية وذلك أحيانا عن طريق التودد في البداية كما ذهبت إلى ذلك لايكوف ، وذلك ايهاما للمرسل أن كل شيء يسير في مصلحته حتى غدا الإعلان التجاري المذاع سلطة تمارس علينا في الشارع والبيت وفي كل مكان عبر وسائل الاعلام المتعددة ،يتبين إذن من خلال ما سبق أن "لغة الخطاب تحدد طبيعة التلقي، وتحدد سلوك الآخرين ، وموقفهم من القضايا المختلفة التي يعرضها الخطاب ، والخطاب اللغوي هو القادر على رسم صورة إيقاعية متناغمة بين المرسل والمتلقي ، تكون الرموز والدلالات فيه هي القادرة على إنتاج علامات جديدة تفرض نفسها على السلوك الوقتي والمستقبلي للأفراد الذين يستقبلون هذا الخطاب ، ولم تعد لغة الخطاب الإعلامي لغة تقليدية ، وإنما استفادت من التقنيات الحديثة في تقديم المعلومات، وتوجيه سلوك الأفراد، والتأثير فيهم، وعن طريق التقنيات الحديثة يمكن التواصل الإعلامي والمعرفي وإزالة الفوارق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بين المجموعات والأفراد، فعن طريق التقنيات الحديثة يمكن للخطاب أن يقفز فوق المكان وينزع إلى فصل المكان عن الهوية ، وذلك عن طريق تضخيم الحقائق أو تغييرها معتمداً في ذلك على الصور والرموز"[28].

يعتمد الخطاب الإعلامي في الوسائل المرئية والمسموعة على تغييب المرجع وهذا ما يرد كثيرا في قناة الجزيرة بخط مضغوط وواضح: "خبر عاجل" وتستطيع وسائل الاعلام بوصفها مرسلا أن تمتلك السلطة في هذا الخطاب، اعتمادا على معرفة المرسل باللغة في مستواها الدلالي، فكل دال له مدلول معروف في ذهني طرفي الخطاب، وقد يتلفظ المرسل بهذا الخطاب مستعملا لفظ (خبر) على أنه مبتدأ، وهو نكرة، وهذا دليل على غياب مرجع كلمة (خبر)، فهو هنا مرجع غير محدد، وزاد في تغييبه عندما وصفه بصفة(العجلة) مما يشير إلى أهميته. ووصف الخبر بهذه الصفة مبني على المعرفة المشتركة ، وبالتالي معرفة المرسل بما يستحق هذا الوصف، لأنه أنتجه في سياق معين، ومن عادة المرسل أن يراعي عناصر السياق، التي من أهمها عنصر المرسل إليه بجميع خصائصه ، وعليه فإن المرسل يجعل المرسل إليه متشوقا، يتطلع إلى ما لدى المرسل من معلومات "[29]. كما يحضر المرجع أحيانا في الخطاب الاعلامي مثل: **هذا بيان من وزارة الصحة : لم تسجل لحد الساعة أية إصابة بمرض ايبولا في المغرب**. فالسلطة في هذا النوع من الخطابات تعتمد على عنصرين اثنين : عنصر أول ما قبل انتاج الخطاب ، وعنصر بعد التلفظ بالخطاب وذلك من خلال توظيف اللغة في قولنا: بيان إذ وردت بصيغة النكرة دون تحديد المرجع مما يجعل المرسل إليه تواقا لمعرفة المرجع أي تعنيه كلمة بيان أو مضمون قول وزارة الصحة المغربية ، وسلطة المرسل إليه المكتسبة ثانيا.كما اعتمدت العلاقة اللغوية بين مالك السلطة (وزارة الصحة) والمتلقي للخطاب على علاقة تفويض وإذعان " إذ ليست سلطة الكلام إلا السلطة الموكولة لمن فوض إليه أمر التكلم والنطق بلسان جهة معينة، والذي لا تكون كلماته، أي فحوى خطابه ، إلا شهادة من شهادات أخرى على ضمان التفويض الذي وكل إلى المتكلم "[30].

يعتمد الخطاب الاعلامي على مصطلحات جديدة يفرض بها سلطته على المتلقي فنجد الكم الهائل منها يدخل معاجمنا العربية دون استئذان ومن ذلك : شرق أوسط جديد"، " أو "شرق أوسط كبير"" ونعت الشرق الأوسط بالجديد أو الكبير فيه إغراء للمتلقي العربي، الذي يبحث عن الجديد في عالمه المهزوم، وعن الكبير في ظل سياسة الحدود المغلقة والإجراءات المعقدة في السفر والتنقل، ووسائل الإعلام تردد هذا المصطلح عن وعي أو غير وعي منها، ويردده أصحاب السياسة وربما يروجون له، والمتلقي العربي البسيط يتأقلم على سماع هذه المصطلحات الجديدة، وتصبح أمراً واقعاً في قاموس حياته اللغوي.

وربما لا يدرك أصحاب وسائل الإعلام أو يدركون أن هذا المصطلح يريد صناعة شرق أوسط جديد على الطريقة الغربية فيه الجدة التي لا تعني الفائدة ، وفيه الكبر الذي لا يتيح للمواطن العربي حرية الحركة والتنقل ، ولكنه في المقابل يسمح بخلق واقع جغرافي يسمح بدخول عناصر جديدة إلى الشرق الكبير المفترض ، وهذه الجده قد تبدأ بإسرائيل ولكن لا تنتهي بها، فهناك كيانات جديدة بدأت تتشكل في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنطقة لتشكل منظومة شرق أوسط جديد،"[31] ومن المصطلحات التي تتردد على أسماعنا في وسائل الاعلام نذكر مصطلح " الارهاب" وهو مصطلح جديد فرضه علينا الغرب، واستسلم له إعلامنا العربي وأصبح واقعا في تفكيرنا وتعاملنا دون وعي منا بأبعاده السياسية والنفسية المصاحبة له، وهكذا أصبحت العمليات الاستشهادية في غزة عند البعض إرهابا مع أنه " مصطلح واسع الفهم متعدد الدلالات، يمكن تفسيره حسب أهواء المفسرين وميولهم الدينية والسياسية، " هكذا يبقى الإرهاب كمصطلح ومفهوم عسير التفسير متفاوت الفهم، وتبقى أسبابة وعلاجه الغربي قاصرة على فهم الأسباب الحقيقية المبنية على القهر والظلم والطغيان والتواطؤ، وتظهر تفسيرات مختلفة تبتعد عن تحليل الأسباب والجذور، وتكتفي بمعالجات سببية ظاهرية" وهو الأمر نفسه الذي ينطبق على مصطلحات أخرى تنمي لحقل معجمي واحد وهو الدين الاسلامي وهي :"العنف والتطرف" ولها ارتباط بجنس معين وهو العرب محاولة إلصاق التهمة بهم ومنطلقا لتشويه صورتهم .

ومن المصطلحات التي أغنى بها الخطاب الاعلامي اللغة العربية نذكر : خارطة الطريق ، العمليات الاستشهادية ، اقتصاد السوق ، الخوصصة، القتل الرحيم .... إضافة إلى ذلك أكثر الاعلام كما ذهب إلى ذلك علي القاسمي من توليد الأفعال على وزن فعل أو فوعل أو فعلن أو استعمال صيغة المصدر الصناعي مما نتج عنه ظهور مصطلحات من قبيل: تحديث القطاعات، تجميد الأموال، تسريع النمو، البراغماتية، الموسمية ، التحررية.....

- **خاتمة:**

يقوم الخطاب الاعلامي بدور كبير في تشكيل عقول الأفراد ،والتأثير في قراراتهم، واتجاهاتهم ومواقفهم بما يملكه من سلطة يستمدها من اللغة لتحقيق أهدافه ولذلك " فإن نمو اللغة في المجتمع وإشاعة مستوى لغوي معين يتوقف على وسائل الاعلام وسياستها اللغوية "[32] وتتجلى سلطة اللغة فيما تملكه من أنظمة معينة " إذ تصبح هذه الأنظمة قيودا، بإلزامها للمرسل بالتقيد بأنظمتها العامة، من نظام صوتي، وصرفي ، ومعجمي ، ودلالي وتركيبي "فعلى الفرد أن يستجيب في النهاية للغة وقوانينها وسلطتها"، وأن يحترم تلك الأنظمة التي اكتسبها فأصبحت جزءا من كفاءاته أو قدرته اللغوية ، وذلك عند استعمال اللغة في الخطاب "[33]." فاللغة إذن سلطة تشريعية، اللسان قانونها [...] أنا مرغم دوما على الاختيار بين صيغة التذكير والتأنيث، وليس بإمكاني على الاطلاق أن أحيد عنهما معا أو أجمع بينهما ؟ ثم إنني مرغم على تحديد علاقتي بالآخر، إما باستعمال ضمير المخاطب بصيغة المفرد أنت ، أو بصيغة الجمع أنتم ، وليس بإمكاني أن أترك المجال لمبادرة العاطفة والمجتمع، وهكذا فإن اللغة بطبيعة بنيتها تنطوي على علاقة استلاب قاهرة، ليس النطق، أو الخطاب بالأحرى تبليغا كما يقال عادة ، إنه إخضاع، فاللغة توجيه وإخضاع معممان " [34].

الهوامش:

1. ابن منظور الإفريقي، لسان العرب ، مادة (خطب).
2. نبيل موميد، حد الخطاب بين النسقية والوظيفية ، مجلة فكر ونقد ، ع89-90 ، 2007، ص.74.
3. محمد علي بن علي بن محمد التهانوي ،كشاف اصطلاحات الفنون ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2005 ، وضع حواشيه أحمد بسج ، مج ، ص. 5.
4. نبيل موميد ، مرجع سابق ، ص. 74
5. نفسه.
6. للمزيد من التفصيل يمكن الرجوع لموسوعة المصطلح في التراث العربي الديني والعلمي والأدبي للدكتور محمد الكتاني.
7. أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية المقارنة ، دراسة في التنميط والتطور ، مطابع الدار العربية للعلوم بيروت ، ط، 1 ،2012 ، ص.78.
8. المرجع السابق ، ص، 86.
9. سورة النبأ، الآية 37.
10. سورة الفرقان، الآية 63.
11. سورة المومنون، الآية 27.
12. A.J.Greimas,J.Couttes, Semiotique,dictionnaire raisonne de la théorie du langage, Hachette, Universite,paris 6,Collection dirigée par Bernard Quemada, tomel, p .102.104.
13. نعمان بوقرة ، لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء ، مطبعة دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ،ط1، ص. 18.
14. أحمد المتوكل ، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية : بنية الخطاب من النص إلى الجملة ، مطبعة الكرامة ، ط1 ، 2001 ، ص. 16.
15. [1] - S.Dick :The theory of functional Grammar .Part 2 : COMPLEX AND Derived. construction .berlin . monton de Gryder. 1997 .p.409.
16. محمد بن عياد ، في المناهج التأويلية ، مطبعة السفير الفني بالصافقس ، تونس ، ط1 2012، ص. 129 نقلا عن كتاب Du texte a l action ص، 205 وما بعده

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

17. نفسه ، ص.129-130 .
18. نفسه ، ص. 130.
19. نفسه ، ص، 131.
20. ابن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية ، ص 220.
21. نفسه ، ص، 221.
22. نفسه.
23. ابن ظافر الشهري ، مرجع سابق ، ص، 222.
24. نفسه ، ص، 223.
25. نفسه ، ص، 229.
26. ابن ظافر الشهري ، مرجع سابق ، ص، 223.
27. ابن ظافر الشهري ، مرجع سابق ، ص،236.
28. أ. د. خليل عوده، الاستعمار اللغوي في الاعلام وعلاقته بالتغيير والأمن ، ص، 2
29. ابن ظافر الشهري، مرجع سابق، ص، 245.
30. السنوسي ، صالح ، أزمة المصداقية في الخطاب السياسي العربي، كتاب تحليل الخطاب العربي ، منشورات جامعة فيلادفيا 1997، ص، 192.
31. خليل عودة ، مرجع سابق، ص، 4.
32. علي القاسمي ، اللغة العربية في وسائل الاعلام ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة "الندوات" ، الرباط 20-21 أكتوبر 2010 ، ص،199.
33. ابن ظافر الشهري مرجع سابق ، ص، 225.
34. رون ،بارت ، درس السيميولوجيا ، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط3 ، 1993، ص،12.

صدر ومراجع البحث:

1- المراجع العربية

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
- أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية المقارنة ، دراسة في التنميط والتطور ، مطابع الدار العربية للعلوم بيروت ، ط، 1 ،2012.
- أحمد المتوكل ، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية : بنية الخطاب من النص إلى الجملة ، مطبعة الكرامة ، ط1 ، 2001.
- ابن منظور الإفريقي، لسان العرب ، مادة (خطب). دار صادر بيروت ، لبنان.
- خليل عوده ، الاستعمار اللغوي في الاعلام وعلاقته بالتغيير والأمن، مقال الكتروني على النت.
- رون ،بارت ، درس السيميولوجيا ، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط3 ، 1993،
- السنوسي ، صالح ، أزمة المصداقية في الخطاب السياسي العربي، كتاب تحليل الخطاب العربي ، منشورات جامعة فيلادفيا 1997.
- محمد بن عياد ، في المناهج التأويلية ، مطبعة السفير الفني بالصافقس ، تونس ، ط1 2012، ص. 129 نقلا عن كتاب Du texte a l action ص، 205 وما بعده.
- نعمان بوقرة ، لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء ، مطبعة دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ،ط1.
- محمد علي بن علي بن محمد التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط2.
- نبيل موميد، حد الخطاب بين النسقية والوظيفية ، مجلة فكر ونقد ، ع89-90، 2007.
- عبد الهادي ابن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، ط1 ، 2004.
- علي القاسمي، اللغة العربية في وسائل الاعلام ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة "الندوات" ، الرباط 20-21 أكتوبر 2010.

2- باللغات الأجنبية:

- S.Dick :The theory of functional Grammar .Part 2 : COMPLEX Derived. construction .berlin . monton de Gryder. 1997
- A.J.Greimas,J.Couttes, Semiotique,dictionnaire raisonne de la théorie du langage, Hachette, Universite,paris 6,Collection dirigée par Bernard Quemada,tomel

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com